سيكولوجية الأغاني وفروق الاجيال

د.معن عبد الباري قاسم
اختصاصي نفساني - كلية الطب
جامعة عدن

يثار الحديث بين حين وآخر، ويحتد النقاش أحياناً لمفهوم تذوق الاغاني القديمة والجديدة مع مقارنة بينهما تؤدي إلى تهميش وإبهات وجهة النظر الداعمة للاغاني المعاصرة ووصفها بالسذاجة والسطحية وإنكار الابداع والتماير فيها. ومن الجانب الآخر تأتي اتهامات الجمود والرتابة والقدم على كلاسيك الغناء والموسيقى العربية.. وفي هذا الحيز وعلى صدر هذه الصحيفة الغراء، سأحاول ان اعطي بعضاً من التفسيرات ذات البعد السيكولوجي لطبيعة هذا التناول بين القديم والجديد من عطاء الفن العربي.

إنني اعتقد بأنه يمكن إجراء تحليل متواضع، بسيط وموجز من خلال عدد من المتغيرات التي اعتقد انها تلعب دوراً في تكوين المزاج والذوق عند المستمع والمشاهد للاغنية.

المتغيرات البيولوجية

لعل اهم عنصر في هذا المتغير هو الفئة العمرية ومايطرأ عليها ففئة المراهقين والشباب تتميز بخصائص نمو عضوية تلعب دوراً مؤثراً في تكوين سيكولوجية ذوقها وإختياراتها. ففي هذه المرحلة تزداد القوة الجسدية لحجم الجسم من نمو القلب والرئتين وزيادة ضغط الدم ونمو القدرة على نقل الاوكسجين إلى الدم بالاضافة إلى الزيادة في انسجة العظام والعضلات مع نشاط ملحوظ لافرازات الغدد«MUSSEN,AL,1984» إن هذا التغير البيولوجي لدى هذه الفئة يفسر القدرة لديها على تقبل نمط من الاغاني ذات الواقع الموسيقي الصاخب ذي الترددات أو الذبذبات الصوتية العالية، وهذا راجع إلى ان مستوى التناغم وقدرة الاجهزة العضوية لديها يسمح لهم بتقبل تلك الطاقة العالية الموازية لطاقة الجسم الداخلية.. وهذا ماجذب الشباب إلى الموسيقى الغربية في تلك المجتمعات وتؤكده موسيقى الاغاني العربية المعاصرة من استخدام الاجهزة الموسيقية الكهربائية ذات التردد العالي للذبذبات، كذلك فالقوة البصرية وتميز الالوان تصل إلى قمتها في هذه المراحل العمرية، مما يجعلها تنجذب إلى مختلف المتغيرات في نموذج الفيديد كليب، هذا خلاف مبدأ الحركة المتغيرة «ACTION».

اما بالنسبة للفئة العمرية المتقدمة في السن مافوق الاربعين (خصوصاً في مجتمعنا اليمني، حيث المعدل المنخفض في عمر الانسان-٥٤سنة) فإن انحساراً ملحوظاً في جملة من الوظائف لعدد من الاجهزة يمثل مؤشراً واضحاً لتلك الاستجابة السلبية لذلك النمط أو النوع من الفنون الموسيقية والغنائية المعاصرة، فتدهور المقدرات البصرية والفقد المستمر للسمع وتأثر نشاط القلب والشرايين والاوردة ويطرأ على الجهاز العصبي من تغيرات، حيث ان عدد الخلايا العصبية يبدأ في النقصان بسبب موتها وعدم إمكانية تجددها في المراحل المتقدمة من السن حيث تصل نسبة الفقدان إلى حوالي الفي خلية عصبية يومياً وهذا مايفسره في الشيخوخة حدوث نقص في وزن المخ وحجمه Huyek and hoyes 1982.

كما اجرى مجموعة من العلماء الروس في مجال وظائف الاعضاء دراسة على تأثير الموجات الصوتية (الموسيقية) على الفئات العمرية وهذا مافسر اقبال كبار السن على الموسيقى الكلاسيكية نظراً لتناغم مستوى الذبذبات للاسترخاء الذي يستطيع الجهاز العصبي والقلب تقبلها، ولهذا يلحظ إحتشاد كبار السن في صالات الاوبرا والموسيقى الكلاسيك، ومانحاول هنا أن نربطه ايضاً بالنسبة للموسيقى العربية(الكلاسيكية) والتي تتفق والتفسير اعلاه ايضاً.

ثانياً: متغيرات نفسية اجتماعية

ولايختلف الحال هنا من حيث تكون الانماط والاذواق في الشخصية استناداً إلى مراحلها العمرية. فنجد ان سيكولوجية شخصية المراهق أو الشباب تتميز بظهور الرغبة في التفرد والانعزال، والنفور من العمل والنشاط، الملل، النزوع المستمر إلى التغيير، عدم الاستقرار، الرفض والعناد، مقاومة السلطة ومنظومة العادات والتقاليد، هذا بالاضافة إلى الانفعالية الشديدة، نقصان الثقة بالنفس وزيادة احلام اليقظة.

إن وقع النغم والاسلوب الغنائي الحديث الذي يعتمد على تكنولوجيا الموسيقى والاخراج واختيار الكلمات ذات التعبيرات السلسة المختصرة تمثل تعبيراً إشباعياً لتلك الرغبات وتلك المواصفات النفسية لدى الشباب والمراهقين.

وما إنجذاب متقدمي السن إلى ذلك النمط الفني إلا عملية تكوصية حسب وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي الفرويدية.

وما نلحظه من تغيرات نفسية وإجتماعية في شخصية كبار السن من ضعف الأنتباه والذاكرة وشدة التأثر الانفعالي والحساسية النفسية بالاضافة إلى الاكتئاب النفسي والارق التي تبدو جلية لدى المثقفين وفي المدينة اكثر منها في الريف يدفع بذلك الانسجام والتوافق لديها مع النمط التقليدي والقديم في حب الاستماع والمشاهدة.

ثالثاً: المتغيرات السياسية والاقتصادية

إن الفنون - وعلى وجه الخصوص هنا الغناء - تتفاعل بشكل وثيق الصلة مع المتغيرات السياسية والاقتصادية للبيئة المعينة، وهذا مايجسد بحق بأنها مرآة عاكسة لهموم المجتمع وحافظ ارشيف الذاكرة لمراحل زمنية وتاريخية حافلة بالاحداث.

ففي مراحل النهوض الثوري لحركات التحرر العربية (الخمسينات - الستينات) إنتشرت الاغنية الثورية في العالم العربي وغنى كلاسيكيو الغناء العربي(أم كلثوم، محمد عبدالوهاب، عبد الحليم..) أناشيد الثورة والتصدي للعدوان الاسرائيلي وكانت تلك اغاني كل العرب.

وفي اليمن ومع تفجر احداث ثورة ٢٦سبتمبر والكفاح المسلح في ١٤ أكتوبر، مثلت الاغاني الثورية للمرشدي، وعطروش ، السمه، الحارثي، وأيوب طارش.. الاختيار التي قصمت ظهر البعير في العزوف عن تلك الميول للقضايا الوطنية والثورية، ولعب من جانب آخر الاجتياح السلمي لمنظومة الاتصال عبر الاقمار الصناعية والقوة المبهرة لنموذج الثقافة الغربية المدججة بالتكنولوجيا القادرة بمجرد لمسات على ازرار الكمبيوتر على التلاعب ودغدغة مخيلة واحلام اليقظة ليس للشعوب المحرومة وحدها ولكن حتى ابناء المجتمعات الغربية نفسها.

هذا بالاضافة إلى سيكولوجية الاغتراب والقلق وتفكك تركيبة فئات المجتمع المختلفة من جراء النهوض الصناعي والتطور العلمي.. مما جعل النمط السائد من الفنون يتواكب مع كل تلك المتغيرات إبتداءً من سهولة تكاليف الانتاج للمواد الفنية وإنتهاءً بسياسة الانفتاح الثقافي والاتصال والذوق الاكثر شيوعاً لمستمعي تلك المرحلة العاصفة بمشاعر الثورة والتحرر.

ومع نهاية عقد السبعينات ومطلع الثمانينات مثلت مرحلة الاجتياح الاسرائيلي في لبنان والمواجهة مع الثورة الفلسطينية تجدد الاغاني الثورية وبروز اسماء عربية لامعة (مارسيل خليفة، محمد حمام، جعفر حسن..) وجاءت حالة الانحسار وتصدع العلاقات العربية - العربية في حرب الخليج الثانية لتكون القشة التي قصمت ظهر البعير في العزوف عن تلك الميول للقضايا الوطنية والثورية، ولعب من جانب آخر الاجتياح السلمي لمنظومة الاتصال عبر الاقمار الصناعية والقوة المبهرة لنموذج الثقافة الغربية المدججة بالتكنولوجيا القادرة بمجرد لمسات على ازرار الكمبيوتر على التلاعب ودغدغة مخيلة واحلام اليقظة ليس للشعوب المحرومة وحدها ولكن حتى ابناء المجتمعات الغربية نفسها.

هذا بالاضافة إلى سيكولوجية الاغتراب والقلق وتفكك تركيبة فئات المجتمع المختلفة من جراء النهوض الصناعي والتطور العلمي.. مما جعل النمط السائد من الفنون يتواكب مع كل تلك المتغيرات إبتداءً من سهولة تكاليف الانتاج للمواد الفنية وإنتهاءً بسياسة الانفتاح الثقافي والاتصال

ايوب طارش

محمد مرشد ناجي

عبدالحليم حافظ

نانسي عجرم

محمد محسن عطروش

احمد فتحي

العالمي بين الشعوب وترويج ثقافة السياحة التي تستطيع ان تقدم من خلال اللون الثقافي الهوية الوطنية المندمجة مما يحقق مفهوم الربح الاقتصادي(حفلات، امسيات...الخ) وايضاً تمثل اطار مواجهة وبديل محلي مماثل ومحاك للنموذج الثقافي الغربي المندفع بدون استئذان من خلال الاقتراص والاتصال الفضائي إلى الشاشة الصغيرة.

وكلمة اخيرة نؤكد من خلالها مجدداً ان عنصر الزمن يظل مؤثراً في التكوين السيكولوجي للمزاج التذوقي، ففي حين يرى اولئك الكهول والشيوخ اليوم أن أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وعبد الحليم واسمهان مجد الغناء العربي وقمة الابداع والازدهار وهو في الأساس استذكار وإجترار لمراحل الشباب ومغامراته ومشاعره العاطفية. كما يرى جيل اليوم من محبي عمرو دياب، نوال الزغبي، راغب علامه، لطيفة، أحمد فتحي..الخ أنه اللون الاكثر جمالاً.. حداثة ومعاصرة وجاذبية.. وستظل هذه النظرة بعد ٢٠ عاماً لديهم لانها تمثل قصة حياتهم العاطفية والانفعالية، خلافاً لجيل القرن القادم، الجيل الذي ستزداد فيه سيطرة التكنولوجيا ولغة العلوم التجريدية وزيادة الاحتكار والمنافسة وصراع المصالح وهي حياة اكثر علمانية وعقلانية منها اليوم (ميل إلى الترميز) وبالمقابل سيكون لون الفن انعكاساً لذلك الواقع وسيبدو إبداع اليوم جزءاً من الماضي الرتيب ولكن الذي يجب الحفاظ عليه.

وهذا في الحقيقة سيجرنا إلى موضوع مهم في فهم سيكولوجية التواصل الثقافي والحضاري بين الأجيال والذي نأمل أن نتطرق إليه في مناسبات أخرى.

هوامش:

النكوص «Regressi0n» آلية من آليات الدفاع النفسي يتم فيها الرجوع إلى مراحل باكرة من النمو وعند الشيوخ إظهار مستويات من السلوك أكثر بدائية.

● مراجع:
١- نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة السنين/ د. أمال صادق + فؤاد أبو الحطب- القاهرة ١٩٩٠م.
٢- الصحة النفسية والعلاج النفسي- د. حامد عبدالسلام زهران- القاهرة ١٩٨٨م.

ليلة فرح

عصام خليدي

علي عمر صالح

الحان / عصام خليدي
كلمات / علي عمر صالح
غناء الفنان المبدع/ نجوان شريف ناجي

إهداء خاص: لحنت هذه الأغنية للشاعر الغنائي علي عمر صالح بمناسبة زواج نجله، اليوم الخميس الموافق ١٥ يونيو ٢٠٠٦م

فرحنا بذي جانا بوصله ولقيانا
خرج رحب المطرح شيوبه وشبانه
رقصنا وغنينا وكله علشانه
ودا اليوم بالدنيا لقلبين فرحانه

* * * *

عريس الهناء شرف كما البدر حيانا
وبالذوق قد نقّى قطف زهر بستانه
دي حلوه عروستنا لها اعيان فتانه
وزاد النسب والاصل كملها سبحانه

* * * *

سرى يسجع القمري ويشدو بألحانه
وغرد من الفرحة غنى البال والدانه
وكم شفت في القاعة من اهله وخلانه
ورب السماء بارك لقانا وهنانا

ظاهرة عمرو خالد

رجل ظاهرُه نجم سينمائي وباطنه رجل دين !!

على طريقة اكتشاف النجوم الذين «يكسرون الدنيا» هناك ظاهرة في مصر اسمها «عمرو خالد» .. فهذا الرجل يبدو للوهلة الاولى كنجم سينمائي .. وهو في واقع الامر شيخ دين!!.

بكلام آخر .. هو رجل ظاهره (نجم سينمائي) وباطنه رجل دين !!.

هو انيق بما يكفي لان يكون نجما سينمائيا .. وهو «مرتب» ووسيم بما يكفي لان يكون «نجم شباك» .. وعفوي بما يكفي لان تتابعه على قناة (اقرأ).

وهذا الرجل «بلا ذقن» ولكنه يقول كلاما «بذقن» وهذا ماتريده الناس .. فالناس تريد الكلام لا «الذقن» .. «فالذقن» لصاحبه والكلام للناس!!.

هذا الرجل يبدو متسامحا مرنا سلسلا .. فاقبل عليه الناس لدرجة جعلته متهما بانه يستقطب ابناء الذوات في محاضراته.

فالعادة ان ابناء الفقراء هم الذين يقبلون على هذه المحاضرات.. اما ان يقبل عليها ابناء الذوات فهذا انقلاب كبير في المفاهيم .. فالتجربة كانت تقول ان ابناء الذوات يذهبون للديسكو وفنادق الخمسة نجوم لا ان يذهبوا لعمرو خالد .. فما الذي تغير ؟!.

انه الاسلوب الجديد الذي تغير .. والروح التي تبدلت في الخطاب الديني .. فعمرو خالد انقلب على مفهوم شيخ الدين القديم!!.

فشيخ الدين ليس بالضرورة ان يكون مسناً لكي يكون شيخا .. ولايتطلب الامر ان يرتدي عمامة وجلبابا لكي يكون مقنعا أكثر!!.

فعمرو خالد ينتقي كرافاته بذوق يحسده عليه نجوم السينما .. ولكنه مع ذلك يقول كلاما بليغا .. فلم تمنعه اناقته في ان يكسب الشباب وان يؤثر فيهم!!.

عمرو خالد نجح .. لانه يتكلم بلسان الشباب .. فهو يفكر معهم بنفس طريقتهم ويتكلم بلهجتهم!!.

كان يعرف لغة المفاتيح .. فهو مفتاح جيد للدخول الى قلوب الشباب وليس على طريقة بعض المشائخ «جزاهم الله خيرا» الذين يتصرفون على طريقة ذلك الشخص الذي يحاول ان يفتح باب السيارة بمفتاح المنزل او المكتب!!.

انها لغة المفاتيح!!.

من مفكرة الدراما اليمنية

أين تكمن أزمة المسرح اليمني ؟

أحمد محمد الشميري

تضاربت الآراء واختلفت وجهات النظر حول «ازمة المسرح» في اليمن .. فارجعها البعض الى ازمة في دور المسرح المعدة اعدادا آليا وفنيا .. وذهب البعض الآخر الى ان جذور الازمة تكمن في افتقادنا المؤلف المسرحي المجيد الذي يكون في امكانه ان يداوم على تغذية ما لدينا من فرق مسرحية تضم مستويات متفاوتة في التمثيل والاخراج وتعاني الآن من حالة ركود مخيف!.

وهكذا يدحض الرأي الآخر سابقه، ويرى الازمة في عدم وجود المؤلف المسرحي المجيد الذي يغطي استهلاك الفرق المسرحية العديدة.. وحتى هذا يمكننا ان نقول اننا في الطريق اليه / ان عاجلا او آجلا / فهناك مجموعة من كتابنا يخصون المسرح بجزء من انتاجهم.

وهناك بعض ثالث يرى جذور الازمة في مجانية العروض المسرحية .. ولقد استجاب المسرح لهذا الرأي وعمل بنظام رسوم الدخول .. ولكن الازمة مازالت قائمة والركود يخيم على المسرح اليمني، لان ما سبق من اسباب الازمة بالرغم من اهميتها لايمس الازمة القائمة الا مسا خفيفا، خاصة بعد ان توافرت غالبية هذه الاسباب.. واخيرا اهتدينا الى جوهر الازمة واقصد الجمهور الذي قال عنه احد النقاد العالميين : «انني لا اتصور اطلاقا مسرحية دون جمهور يشاهدها ويستحسنها ويتجاوب معها».

اذن . فالازمة هي ازمة جمهور لم يعرف المسرح الا بالغا!! .. وعندما عرفه كان يبتغي الترفيه والتسلية دون ان ينظر اليه كفن له مقاييسه واصوله التي يعمل على الامتاع الذهني والعاطفي معاً!.

وازمة الجمهوري قد يحلها جزئيا تعدد المسارح في المدينة والريف وما الى ذلك من حلول .. ولكننا في حاجة الى ان نعرف المسرح من اول مراحل الحياة .. لابد ان نعرفه ابتداء من الطفولة في رياض الاطفال .. ثم يتدرج الى المدرسة الموحدة والثانوية، واخيرا في الساحة الشعبية والمصنع في المدينة، وفي النادي الريفي في القرية.. ولنا في البلاد التي سبقتنا مثال حي لذلك.. فقد عرفت قدر المسرح واهميته لدرجة انها دخلته كوسيلة تعليمية في المدارس والمعاهد والجامعات.

الورقة الثانية
العصر الذهبي للدراما اليمنية

التلفزيون اليمني مدان !!

كتاب الدراما التلفزيونية غائبون عن اصول تأليف نصوص الدراما التلفزيونية!!

ومعظم المحاولات التي يصر على انتاجها التلفزيون عندما يحن لنشاط الدراما التلفزيونية في المناسبات تفتقر لاهم عناصر الدراما وتقنية التأليف الدرامي التلفزيوني .. بل وتقنية التأليف المسرحي الذي اعتمد عليه التلفزيون ايام زمان في بداية نشاطه عندما اعتمد على نصوص كتاب القصة والرواية.

ومع تكرار هذه المحاولات تتكرر اصابة المشاهد بخيبة الامل..

والسنوات التي مرت من عمر التلفزيون في اليمن ينبغي ان يكون مردود نشاط الدراما التلفزيونية متطورا.. بينما الواقع الجاري يأتي بما هو مختلف حتى في المحاولات ذات الموضوعات والمعالجات الشعبية نجدها مجرد تلبيسات خارجية عن واصفات الدراما الهادفة .. معظمها محاولات ركيكة الشكل وساقطة المضمون !!

المخرجون التلفزيونيون مدانون ايضاً

ففي مرحلة الستينات من القرن الماضي لم تكن هناك امكانيات فنية كالتي تتوفر الآن في استيديوهات التلفزيون .. لكن كان المشاهد يستمتع باعمال افضل .. بل كانت الدراما التلفزيونية تحتل مركز الصدارة بين برامج التلفزيون!.

ونالت شعبية بلغت حدا جعل المشاهد يحرص على متابعة برنامجها (مسرح التلفزيون) الذي كان يبث مباشرة على الهواء في كل يوم احد من كل اسبوع .. وكان على الفريق الفني العامل ان يؤدي ادواره في الاستديو على الهواء دون توقف حتى لايتوقف العمل لعدم وجود اجهزة التسجيل والمونتاج التي لم يعرفها التلفزيون اليمني قبل عام ١٩٧٨م.

وقد ساهمت الى حد كبير منذ ذلك التاريخ في تسهيل العمل داخل الاستديوهات .. باختصار كان الشكل المسرحي هو الوسيلة المعتمد عليها في تقديم (مسرح التلفزيون) .. الخطأ معناه قطع العرض المباشر بيافطة (لحظة من فضلك).

وبرغم الامكانات الشحيحة والاجهاد الذي كان يلحق بالعاملين في قطاع التلفزيون من الفنانين والمساهمين، الا انهم كانوا اكثر حماسا واخلاصا للدراما التلفزيونية .. بدليل انهم اعطوها الكثير من جهودهم وهو من اهم الاسباب في تحقيق نجاح (مسرح التلفزيون) الذي كان العصر الذهبي للدراما اليمنية.

الورقة الثالثة
من المسرح اليمني الى المسرح العالمي!!

عبثا حاولت واحاول ياعزيزي المسرح ان اتحصل على مفهوم واضح محدد مريح لعدم وجود عضويتنا في مركزك العالمي، من خلال ماكتبته عنك في ربع القرن المنصرم!!.

ولكن بعد ان انقطع حبل الرجاء وانا في لهفة الى وجودك بيننا ووجودنا في وثيقة مركزك العالمي حتى اصبح المولود المسرحي عبر هذا المركز العالمي فاتحة وامل كبير للدول النامية، بعد ان رأينا هذا المركز يحتضن بنجلادش ولبنان وسوريا ومصر والهند .. وكلما تجددت ذكرى يومك، وذكرتني تلك الذكرى العطرة احسن الايام لدي / على الرغم من علامات الاستفهام الحائرة / لانها تبعث في نفسي اجمل الذكريات!!.

فانت الاب الشرعي لكل فنون العالم .. لانك المهد الاول لكل الفنون في كل المراحل والعصور .. من قبل عصر الاغريق وحتى يومنا هذا ..

واليوم تلعب دورك الرئيسي في خدمة الانسانية ولمصلحة البشرية .. فلاتتخل عنا وعن ركب الحضارة والطور.

باطويل وعلي بن محمد يلتقيان (في ديس المكلا)!!

في ديس المكلا

محمد عمر باطويل

علي بن محمد

كلمات :
محمد عمر باطويل
لحن وغناء الفنان:
علي بن محمد

في ديس المكلا شفت خلي
من سدّى عبر شاخط معلي
ما سلّم .. نسى حبي الذي كان
ومن قد عاب في من حب يهتان

●●●

ما صدقت انه ما افتكرنا
وإنه قد نسي حبي وهجرنا
وإنه خان معروفي ولحسان
ومن قد عاب في من حب يهتان

●●●

كيف سوي ونا لازلت أحبه
والشاهد علي ربي وربه
وإني في المحبة صدق هيمان
ومن قد عاب في من حب يهتان

●●●

وباصبر عالزمن لما يجيبه
ولابد يفتكر إني حبيبه
ويرجع للمحبة مثل ما كان
ومن قد عاب في من حب يهتان